

(١)

### الإسلام والعلم

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فنحن على مشارف عام دراسي جديد - نسأل الله (عز وجل) أن يكون عام فلاح ونجاح وتفوق لأبنائنا جميعاً ، فقد أولى الإسلام العلم أولوية كبيرة ، وكان أول ما نزل من القرآن الكريم هو قول الله تعالى : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}؛ ليكون إشارة صريحة إلى أن الإسلام دين العلم والمعرفة ، كما سمي ربنا (سبحانه وتعالى) سورة كاملة في القرآن الكريم باسم " القلم " ، واستهلها سبحانه وتعالى بقوله: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}، تأكيداً أيضاً على أهمية أدوات العلم ووسائله .

فالعلم هو السبيل الأوحى لمعرفة الله (عز وجل) من خلال النظر والتدبر في آيات الله الكونية ، فالله (عز وجل) لا يُعبد إلا بالعلم ، والكون لا يَعْمُرُ إلا بالعلم ، والحياة لا تستقيم إلا بالعلم .

ومما يؤكد على أن الدين الإسلامي هو دين العلم أن الله (عز وجل) أمر به وقدمه على العمل ، فقال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَّوِّكُمْ}، وقد قالوا: التعلم قبل التعبد ؛ ليكون التعبد على هدى ، وقال الحسن البصري (رحمه الله): العامل على غير علم كالسالك على

(٢)

غير طريق، والعامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح .

وقد ترجم الإمام البخاري (رحمه الله) في صحيحه قائلاً: "باب العلم قبل القول والعمل"؛ لبيان أن العلم هو الأساس الذي يبنى عليه، والأصل الذي يرتكن إليه، فهو ركيزة البناء والتعمير على مر التاريخ، وبه تبنى العقول، وترتقي الدول، وتقام الحضارات .

لذا فقد عبر القرآن الكريم عن العلم بلفظ السلطان في أكثر من موضع، فقال تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} ، وقال سبحانه: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} ، ولم لا؟ والله (عز وجل) لم يأمر نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالازدياد من شيء في الدنيا إلا من العلم، حيث يقول سبحانه: {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} ، بل إن النبي (صلى الله عليه وسلم) جعل الخروج لطلب العلم خروجاً في سبيل الله (عز وجل)، فقال (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ).

على أنه ينبغي أن ندرك أن العلم الذي رغب فيه الإسلام وحث عليه ليس مقتصرًا على العلم الشرعي فحسب، وإنما يشمل كل علم ينفع الناس في شؤون دينهم ودنياهم، من العلوم الشرعية، أو العربية، أو علم الطب، أو الصيدلة، أو الفيزياء، أو الكيمياء، أو الفلك، أو الهندسة، أو الميكانيكا، أو الطاقة، وسائر العلوم والمعارف التي لا غنى عنها لاستمرار الحياة وعمارة الكون .

والمتدبر في قول الله (عز وجل): {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} يرى أنه قد جاء في معرض الحديث عن العلوم الكونية، حيث قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

(٣)

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ \* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ، وفي ذلك دلالة على اهتمام الإسلام وعنايته بالعلوم الكونية كاهتمامه وعنايته بالعلوم الشرعية ، فكلاهما يهدي ويرشد ، وهما جناحان تقوم عليهما الحضارات وترتقي بهما الأمم .

ومن ثم فكل علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الحياة وضرورياتها مما يجلب الخير والنفع لناس، يكون من العلم الذي حث عليه الشرع الشريف ، وجعل السعي إلى تحصيله فريضة ، وطريقاً من طرق الجنة ، وعندما حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على طلب العلم ورغب فيه ، جعل حديثه عاماً يشمل جميع العلوم والفنون والمعارف ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم): (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَعْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْجِبَّتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ) .

ولا شك أن ثناء الله (عز وجل) على أهل العلم ، وأمره بالرجوع إليهم وسؤالهم هو ثناء عامٌ وشاملٌ لكل أهل العلم والمعرفة في جميع مناحي الحياة ، كلٌّ على حسب التخصص الذي تميز به ، وأبدع فيه ، حيث يقول تعالى : { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ }، ويقول سبحانه: { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }، ويقول جل شأنه: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(٤)

دَرَجَاتٍ} ، فكل هذه النصوص وغيرها أعم من أن نحصرها أو نقصرها على علم الشريعة وحده ، فالأمر متسع لكل علم نافع نعمر بها دنيانا ، ويستقيم بها أمر ديننا . ولقد كان من مظاهر عناية الإسلام بالعلم والتعلم أن وضع آداباً للمتعلم وواجبات على المعلم يحسن بنا أن نُذكرَ بها ، فمن أجل ما ينبغي لطالب العلم أن يتزين به **حسن الخلق** فإن العلم وحده لا يحقق نهضة ولا سعادة ، إن لم ترافقه أخلاق حسنة ، وقيم نبيلة ، وصدق الشاعر حين قال :

لَا تَحْسَبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ \*\*\* مَا لَمْ يَتَوَجَّ رَبُّهُ بِخَلَاقٍ

فإذا ما أصبح حسن الخلق والعلم توأمين ، كان العلم نافعاً يحث صاحبه على فعل الفضائل وترك الرذائل ، ويكون سبيل هدى ورحمة ورشد له في أمر دينه ودنياه؛ ولذا رأينا سيدنا موسى (عليه السلام) يقول للعبد الصالح : {هَلْ أَتَّبَعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا؟} .

كما ينبغي لطالب العلم **إخلاص النية لله (عز وجل)** في طلب العلم ، بأن تكون نيته أن يرفع الجهل عن نفسه ، وعن غيره ، وأن يكون عنصراً مفيداً منتجاً في مجتمعه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : {إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ} .

وعلى طالب العمل أن يتحلى **بالصبر في تحصيله** ، وقد حكى لنا القرآن الكريم ما كان من نبي الله موسى (عليه السلام) في رحلته إلى العبد الصالح التي أمره الله (عز وجل) بها ، حيث قال سبحانه حكاية عنهما : {قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا \* وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا \* قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} .

(٥)

كما ينبغي لطالب العلم أن يغتني وقته في مذاكرة دروسه ، وأداء واجباته ،  
والتركيز الكامل مع الجد والاجتهاد ، وَقَدْ قِيلَ لِابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) : يَمَ  
نَلْتُ هَذَا الْعِلْمَ؟ قَالَ: يَلْسَانِ سَوُولٍ وَقَلْبِ عَقُولٍ ، والله در القائل:  
فَسَلُ الْفَقِيهَ تَكُنْ فِقِيهًا مِثْلَهُ ... لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ يَغْيِرُ تَدَبُّرِ  
وَإِذَا تَعَسَّرَتْ الْأُمُورُ فَأَرْجِهَا ... وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَغْسِرِ  
وعلى طالب العلم أن يستعين على ذلك كله بطاعة الله (عز وجل) ، حيث يقول  
سبحانه: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} .

وكما اهتم الإسلام بالعلم ووضع لطلابه آداباً أوجب على المعلم أموراً يلزمه أن  
يراعياها مع طلابه ، فالمعلم صاحب رسالة سامية ، يقوم من خلالها بتربية الأجيال ،  
ونشر المعارف والعلوم ، فيجب عليه أن يكون مخلصاً في أداء رسالته ، متقناً لها ،  
قدوة لطلابه ، منضبطاً في سلوكه وقوله وفعله ، مهتماً بطلابه سلوكياً، وثقافياً ، صبوراً  
متواضعاً ، بعيداً عن الكبر والغرور ، فالتواضع صفة من الصفات المحمودة ، وسبيل  
إلى نيل رضا الله (عز وجل) يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ  
أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ) ، وعن أبي هريرة  
(رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (... وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا  
رَفَعَهُ اللَّهُ)، وقد سئل الفضيل بن عياض عن التواضع، فقال: " أن تخضع للحق وتنقاد  
له ، ولو سمعته من صبي قبلته منه ، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه " ، وكان  
عروة بن الورد يقول: "التواضع أحد مصايد الشرف ، وكل نعمة محسود عليها صاحبها  
إلا التواضع " .

(٦)

فإذا كان التواضع محموداً من جميع الخلق فإنه من أهل العلم والشرف والجاه  
أحمد وأعظم، لأن أهل العلم يدركون أن العلم نعمة ومنة وفضل من الله سبحانه،  
قال تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا  
يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن  
سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه  
أجمعين، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .  
إخوة الإسلام :

إن العلم النافع هو أشرف ما يسعى الإنسان إلى تحصيله في الدنيا، ومن أعظم ما  
يعدّه للقاء الله في الآخرة، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ  
انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَالدِّ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)،  
وتلك جملة من الآداب ينبغي للعالم والمتعلم أن يتحلى بها من باب الأخذ بأسباب  
العلم، ولا يعني ذلك عدم التوكل على الله (عز وجل) فإن المسلم مطالب بالأخذ  
بالأسباب المشروعة؛ لأن الأخذ بالأسباب من الإيمان، ولقد أمرنا النبي (صلى الله  
عليه وسلم) بالأخذ بالأسباب، فعندما قال له رجل: يا رسول الله: أُرْسِلُ نَاقَتِي  
وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: (اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ)، فأمره بالأخذ بالأسباب مع صدق التوكل على الله  
(عز وجل)، وعندما سُئِلَ الإمام أَحْمَدُ (رحمه الله) عَنْ رَجُلٍ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي  
الْمَسْجِدِ وَقَالَ لَا أَعْمَلُ شَيْئًا حَتَّى يَأْتِيَنِي رِزْقِي، فَقَالَ هَذَا رَجُلٌ جَهْلٌ الْعِلْمِ، فَقَدْ

(٧)

قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا) فَذَكَرَ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهَا تَعْدُو وَتَرُوحُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ قَالَ: وَكَانَ الصَّحَابَةُ (رضي الله عنهم) يَتَّجِرُونَ وَيَعْمَلُونَ "

فالتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي ترتبط بمسبباتها ، بل إن مباشرة الأسباب من تمام التوكل ؛ لأن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً ، وإن من جملة الأخذ بالأسباب ، ومن المفاهيم العلمية الصحيحة ، مبدأ الوقاية خير من العلاج ، فالنظافة الشخصية والعامة وقاية من كثير من الأمراض ، ومن الوقاية أيضاً الاستجابة لحمولات التطعيم ، والالتزام بسائر أنواع التطعيمات الطبية التي تعلن عنها وتقوم بها وزارة الصحة والسكان ولا سيما تطعيم الأطفال ؛ حماية لأبنائنا وأطفالنا وكذلك سائر أنواع التطعيمات التي تهدف إلى حماية المجتمع ورعايته رعايةً صحيّةً تليق به ، حماية لأنفسنا ولأطفالنا وפלذات أكبادنا ، فأطفال اليوم هم شباب الغد وهم بناء الوطن وحماته في المستقبل بإذن الله تعالى ، وكذلك الاستجابة والتعاون مع حملات المسح الشامل لبعض الأمراض كفيروس C ، فالهدف هو الحفاظ على صحة المواطن وسلامته .

**اللهم لا تجعل فينا ولا لنا مريضاً إلا شفيته ،  
ولا هما إلا فرجته ، وعلمنا ما جهلنا ، وارزقنا حسن الفهم**